كأني حنت أطلعك على خطاب حميم أو صورة عائلية قديمة قاصدا مشاركتك فإذا بك تسقط قاصدا نقطة حبر أو تشطب بهمجية على سطر أو جزء من الصورة.

بدا لي وأنا حالس معك أنك تريد أن أفسر لك ماذا أقول الآن، وأين أقف من كل ما يحدث حولنا. كدت أطمئنك، كدت أحكي لك عما أواجهه من ضغوط وتهديدات، ولكنني أحسست أنني لست متهما لأدافع عن نفسي، قد تعرِّفك المقالات التي بين يديك بمواقفي.

إدي صالح».

مزقت الرسالة، ألقيت نظرة سريعة على المقالات، ينتقد الحكومة الإسرائيلية على غزو لبنان، لا بأس، اكتفيت بقراءة السطور الأولى من كل مقال ثم وضعتها جانبا.

عرفت إدي طفلا في الرابعة أو الخامسة من عمره تصطحبه آديل في زياراتها لنا ليلعب مع أخي. لاحقا، صار يأتي بمفرده، لا يطول الجرس فيدق الباب بقبضته، أعرف أنه إدي، أفتح الباب وأنا أنادي على أخي: «صاحبك وصل». يلعبان معا دون صخب، ثم يشتبكان فجأة على طريقة الصغار: «ضربني!»، «أخذ مني اللعبة!»، «هو الذي بدأ...» تفض أمي الاشتباك، ويعودان للعب. مشهد يومي وأليف لم أعد أذكر تفاصيله، ولكني أذكر تعليق أمي ذات يوم، بعد ذهابه، أنه يتيم، وأخي يواصل احتجاجه: «أخذ اللعبة ولو جابها مكسورة حاتبتسمي وتقولي معلش! ولو أنا كسرتها تزعقي وتقولي أنت مهمل! يعني إيه يتيم؟!» أذكر الحوار، وأذكر طفلا يلعب مع أخي، ولا أذكر متى كبر هذا الطفل؟ وكيف كبر؟ وأين ذهب هو وأمه بعد رحيلهما من القاهرة؟ مجرد طفل من أطفال الجيران لا أنتبه سوى بشكل عابر لوجوده، ثم رحل ونسيته، ثم دق على الباب.